اليمنيون الحضارمة في جنوب شرقي آسيا
صيانة الهُويَّة أم الانصهار؟

أحمد إبراهيم أبو شوك *

مدخل

نظم قسم التاريخ والحضارة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، بالتعاون مع سفارة الجمهورية اليمنية بماليزيا، مؤتمراً عالميًّا عن "اليمنيين الحضارمة في جنوب شرق آسيا: صيانة الهُويَّة أم الانصهار؟"، في الفترة من 26 إلى 28 أغسطس 2005م، بمباني الجامعة الإسلامية العالمية وفندق كراون برنسس بكوالا لمبور. وجاء هذا المؤتمر تلبيةً لوقائع حوار علمي دار بين عميد كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية وإدارة جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا في المُكلا عام 2004م، حيث نظر االطرفان في أهمية الهجرة الحضرمية إلى جنوب شرقي آسيا، وناقشا تأثيرها الثقافي والفكري في الوطن الأم وبلاد المهجر، ثم خلصا إلى ضرورة عقد مؤتمر عالمي حول هذا الموضوع، يكون من أهدافه ترسيخ عرى التعاون العلمي والتواصل الفكري بين الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ونظيراتها من الجامعات

* أستاذ مشارك ورئيس قسم التاريخ والحضارة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

اليمنية، ودعوة نخبة من الباحثين والمهتمين بالشأن الحضرمي، ليتبادلوا وجهات النظر حول هجرة اليمنيين الحضارمة إلى جنوب شرقي آسيا، وآثارها الفكرية والثقافية في المجتمع المضيف، والتحولات الاجتماعية والثقافية التي طرأت على الهُوية الحضرمية في أرض المهجر، وطبيعة تواصل المهاجرين الحضارمة مع السكان الأصليين من جهة، ومع المهاجر الحضرمية الأخرى من جهة ثانية.

وقد دُعي إلى المؤتمر أكثر من ثلاثين عالماً وباحثًا من المهتمين بالمهاجر الحضرمية وقضاياها المتداخلة، والمتخصصين في ضروب من العلوم الاجتماعية والإنسانية، حيث شمل تمثيلهم القُطري الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وألمانيا، وهولندا، إيطاليا، والنمسا، واليابان، واليمن، والسعودية، والإمارات العربية، والسودان، وإندونيسيا، وبورما، وسنغافورة، وماليزيا. أما فعاليات المؤتمر فقد اشتملت على جلسة افتتاحية، ومحاضرة رئيسة، وتسع جلسات متوازية، وجلسة عاشرة خُصصت لعرض فيلم وثائقي عن الهندسة المعمارية الطينية في اليمن، واختتم المؤتمر أعماله بيوم ثقافي عُقدت فعالياته في 28 أغسطس 2005م بفندق كراون برنسس (Crown Princess).

وقائع المؤتمر:

1. حفل الافتتاح والمحاضرة الرئيسة:

خُصصت الفترة الصباحية من اليوم الأول لحفل الافتتاح، الذي بدأ بتلاوة آيات بينات من القرآن الحكيم، عقبتها مقدمة المؤتمر التي قدمها رئيس اللجنة المنظمة الأستاذ المشارك الدكتور أحمد إبراهيم أبوشوك، ثم تلتها كلمة ترحيب بالمشاركين ألقاها الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن، مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

ثم جاءت بعد ذلك كلمة الافتتاح التي ألقاها ضيف المؤتمر، معالي وزير الخارجية الماليزية داتو سري حامد البار وزير خارجية ماليزيا، ذو الأصول الحضرمية. وقد كانت كلمة جامعة عن الشأن الحضرمي في جنوب شرقي آسيا، وثّقت لتاريخ هجرة

الحضارمة إلى جنوب شرقي آسيا، وتواصلهم مع فئات المجتمعات المضيفة، كما ناقشت أثرهم الدعوي في نشر الإسلام وترسيخ فقه المذهب الشافعي. وتطرقت الكلمة أيضاً إلى النشاط التجاري للحضارمة وإسهاماتهم الاجتماعية والثقافية والفكرية التي لقحَّت مؤسسات المجتمع المدني بكثير من قيم الحضارة الإسلامية والتراث العربي، ثم تعرضت لنضال وجهاء الحضارمة ضد الاستعمار الأوربي ومؤسساته التنصيرية، ومؤازرتهم لقيادات المجتمعات الملايوية في تطوير مؤسسات الدول القُطرية الحديثة والمجتمعات المدنية التي نشأت في كنف الاستعمار واستقام عودها بعد الاستقلال.

وأعقبت هذه الكلمة الافتتاحية محاضرتان رئيستان لكلٍّ من الأستاذة الدكتورة أولريك فريتاك، مديرة مركز دراسات الاستشراق الحديثة ببرلين (ألمانيا)، والأستاذ الدكتور وليم روف، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة أدنبرة (بريطانيا). ناقشت الدكتورة أولريك تاريخ الهجرة الحضرمية في المحيط الهندي، وقارنت بينها وبين الهجرات اليهودية والأرمنية إلى المنطقة ذاتها، ثم سلطت الضوء على السمات المميزة للهجرة الحضرمية في جنوب شرقي آسيا، والأسباب التي أسهمت في نجاح الحضارمة وتواصلهم مع طبقات المجتمع الملايوي. ثم استعرضت إسهام السادة العلويين الحضارمة في تدوين تاريخ أسلافهم في جنوب شرقي آسيا، وطبيعة الإشكاليات العلمية التي تكتنف تراثهم المكتوب من حيث المصداقية والشمول.

وأما الدكتور وليم روف فتناول دور الصحافة الحضرمية في ملايا (ماليزيا وسنغافورة) خلال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين، حيث وثق لأنشطة الحضارمة الصحافية التي كانت متأثرة بحركات الإصلاح والتجديد التي نشأت في العالم العربي، وسعت لإصلاح المجتمع وفق ثوابت عقيدة التوحيد، ونادت أيضاً بالاستئناس بمنجزات الحضارة الأوروبية بحسبانها خطوة إيجابية على طريق إصلاح

واقع المجتمعات المسلمة. وقدم الدكتور روف من خلال محاضرته تعريفًا مفصّلاً للصحف والمجلات التي أسسها الحضارمة أو شاركوا في تأسيسها، مبيّنًا طبيعة الموضوعات التي تطرقت إليها هذه الإصدارات الصحافية، ودرجة تأثيرها في إعادة صياغة العقل المسلم في أرخبيل الملايو وحضرموت.

وناقش الأستاذان الدكتور وليم كليرنس سميث، أستاذ التاريخ بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية-لندن، والدكتور أحمد آدم، أستاذ التاريخ بجامعة ماليزيا بولاية صباح، الورقتين نقاشاً مستفيضاً، وقدما بعض التوضيحات والاستدراكات والتعليقات التي أسهمت في إثراء الحوار حول قضية الهجرة الحضرمية في المحيط الهندي وما تركته من بصمات في نسيج المجتمع الملايوي، وفي بلورة بعض القضايا المرتبطة بالأثر الوظيفي الذي تركته الصحافة الحضرمية في تنوير الرأي العام الملايوي وتوعيته.

2. محاور الجلسات:

شمل المحور الأول للمؤتمر مجموعة من البحوث العلمية التي استعرضت تاريخ حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية في المحيط الهندي وآثارها الثقافية والسياسية في جنوب شرقي آسيا، وتطرقت أيضاً إلى طبيعة التواصل الاجتماعي والثقافي بين المجموعات الحضرمية التي قطنت بعض المدن التجارية في سواحل شرق إفريقيا، والهند، وأرخبيل الملايو، والصين. ثم تلا هذا المدخل عرض مستفيض لنسب السادة الأشراف آل باعلوي الذين يرجع أصلهم إلى السيد علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر. وأعقب ذلك ناقش علمي حول طبيعة التوزيع الديمغرافي للسادة العلويين في المحيط الهندي وجنوب شرقي آسيا. وأخيراً ركز هذا المحور على العمل الدعوي الذي نهض به الحضارمة في نشر الإسلام وترسيخ قيم الحضارة الإسلامية في أرخبيل الملايو، والإسهام في تطوير نسيج المجتمعات المحلية اقتصاديًّا، وسياسيًّا، وفكريًّا، وفي محاربة الاستعمار الأوربي والتنصير المسيحي. وبهذه الكيفية استطاع الباحثون في هذا المحور

أن يوضحوا السمات العامة التي طبعت هجرة اليمنيين الحضارمة إلى جنوب شرقي آسيا وميزتهم عن بقية المهاجر الحضرمية الأخرى، وجعلتهم يتواضعون على نمط مخصوص من الانصهار في المجتمعات الملايوية، ويتكيفون وفقًا لمسؤولياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية كمواطنين أصلاء، مع المحافظة على شيء من مورثاتهم الحضارية والثقافية المرتبطة بقضية الهُوية الحضرمية.

أما المحور الثاني فقد سلط الضوء على المؤسسات التجارية والاقتصادية للحضارمة في جنوب شرقي آسيا، وإسهامها في النمو الاقتصادي للمجتمعات المضيفة والوطن الأم (خضرموت)، ومدى النجاح الذي حققته في مجال التعامل مع المؤسسات الاقتصادية الحديثة التي وضع لبناتها المستعمر وترسخت قواعدها بعد الاستقلال. وفي هذا الإطار تمت مناقشة أثر تعاليم الشريعة الإسلامية في صياغة البنية الاقتصادية والتجارية للمؤسسات الحضرمية، وتشخيص استجابة هذه المؤسسات لمقولات الاقتصاد الرأسمالي الذي يتعارض في جزئياته مع ثوابت الشريعة الإسلامية. واستعرض الباحثون أيضاً علاقة حضرموت بالمهاجر الملايوية من حيث التبادل التجاري وحركة رؤوس الأموال والبضائع، وتقلص هذا التواصل التجاري بعد زوال الاستعمار وقيام الدول القطرية، بحجة أن التعامل التجاري الحضرمي - الملايوي قد تمت إعادة تشكيله في محيط دول شرق آسيا والدول المجاورة لها. وبذلك تقلصت أهمية حضرموت التجارية، إذ اقتصر نشاطها التجاري والاقتصادي على دول الجوار العربية، بدلاً عن جنوب شرقي آسيا.

وركز المحور الثالث على التأثير الفكري الذي أحدثته حركةُ الإصلاح والتجديد في جنوب شرقي آسيا، ومدى القبول الذي وجدته في أوساط النخب الحضرمية التي كانت متفاعلة مع حركة الإصلاح التي كانت تمثلها مجلة المنار ذات الانتشار الواسع في أرخبيل الملايو. وناقش الباحثون في هذا الإطار أثر الجمعيات الخيرية، والمدارس الحديثة،

والصحف والمجلات في ترسيخ قيم الإصلاح والتجديد في جنوب شرقي آسيا، وفي تشكيل معالم النهضة الحضرمية التي شهدها أرخبيل الملايو فيما بين الحربين العالميتين، وكيف أثرت هذه النهضة في بنية العقل المسلم في جنوب شرقي آسيا، وطبيعة التحديات التي أفرزتها في مواجهة المؤسسات الحضرمية العتيقة التي كانت تستمد شرعيتها من تراث التقليد والبدع والخرافات، وتراث المتصوفة القائم على زيارة القبور والتوسل بالأولياء والصالحين. كما تمت مناقشة انعكاسات النهضة الحضرمية - الملايوية في حضرموت وإفرازات الصراع بين العلويين والإرشاديين بالنسبة للوطن الأم.

وقدم المحور الرابع قراءة جديدة لمفهوم الهوية الحضرمية، تقوم على فرضية التفاعل الحضاري التي تحمل قيماً إسلامية مغايرة للقيم التي يرتكز إليها مفهوم الهوية القائمة على ثوابت الفكر العلماني، وتسهم في الوقت نفسه في تجاوز أزمة التأرجح المفروضة جدلاً بين صيانة الهوية وانصهارها في القيم والعادات والتقاليد الموروثة التي تحكم مسارات الحراك الثقافي والاجتماعي في جنوب شرقي آسيا. وقد حاول الباحثون في هذا المضمار أن يناقشوا قضية الهوية وفق منظومة التفاعل الحضاري التي تستمد شرعيتها من ثوابت التراث الإسلامي، وبذلك استطاعوا أن يقدموا قراءات حديثة للواقع المعاصر في اليمن والمهاجر الحضرمية. ومن خلال هذه القراءات اقترحوا بعض الأطروحات التي تنادي بضرورة تفعيل قنوات التواصل بين المهاجرين الحضارمة والوطن الأم، على اعتبار أن مثل هذا التواصل سيدر جملة المصالح المشتركة بين الطرفين، بحيث تصب حصيلتها في بناء الوطن الأم وفي توثيق عرى التواصل مع المهاجر الحضرمية.

وتجلّت مفردات المحور الرابع في ثنائية فنية بديعة: تمثل طرفها الأول في معرض تشكيلي رائع أعدته نخبة من الفنانين الماليزيين الذين ينحدرون من أصول حضرمية. وقد مثل هذا المعرض قيمة جمالية من قيم التواصل الثقافي بين اليمن وماليزيا، وعكس بُعداً من أبعاد العطاء الفني للجالية الحضرمية المتفاعلة والمتجانسة مع نسيج المجتمع الماليزي

الذي تعيش بين جنبيه. وتمثل طرفها الثاني في عرض فيلم وثائقي عن الهندسة المعمارية الطينية في اليمن، قدمته الباحثة الإيطالية كترينا بورولي، ويُعدُّ هذا الفيلم تحفة أثرية لفن العمارة الطينية، ومرجعاً علميًّا للمهتمين بدراسة منجزات العمارة الطينية.

3. اليوم الثقافي:

كان اليوم الثالث للمؤتمر بمثابة تظاهرة ثقافية حية، خُصصت فترته الصباحية لزيارة متحف الفن الإسلامي، ومتحف ماليزيا الوطني، والجامع العتيق (مسجد نغارا) بكولالمبور. ولا شك أن زيارة هذه المواقع الثلاثة قد قدمت للمشاركين في المؤتمر بُعداً آخر من أبعاد التواصل الحضاري بين جنوب شرقي آسيا والشرق الأوسط. وفي المساء شهد مسرح فندق كراون برنسس (Crown Princess) فعاليات الليلة الثقافية، التي استهلها الدكتور عبد الناصر المنباري، سفير الجمهورية اليمنية بماليزيا، بكلمة ترحيب بالمشاركين في المؤتمر وثناء على اللجنة المنظمة. ثم أعقب ذلك سلسلة من العروض الغنائية الراقصة التي قدمتها فرقة "سمار الهناء" من ولاية جهور بماليزيا، وفرقة "الغنَّاء للفنون الشعبية" بحضرموت. ومثلت هذه العروض ضرباً من التواصل الثقافي بين المهاجرين الحضارمة ووطنهم الأم. وفي خاتمة الحفل تحدث الأستاذ المشارك الدكتور حزيزان محمد نون، عميد كلية معارف الوحي والعلوم الإسلامية بجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، فثـمَّن نجاح المؤتمر، وحث على ضرورة نشر وثائقه لتكون شاهداً على الحوار الأكاديمي الذي دار في أروقته، والنتائج التي توصل إليها المؤتمرون بشأن الهجرة الحضرمية في المحيط الهندي وجنوب شرقي آسيا.

ثبت بالأوراق المقدمة في المؤتمر

الأوراق الإنجليزية:

1. *Ulrike Freitag,* Reflections about the Longevity of the Hadhrami Diaspora in the Indian Ocean
2. *William R. Roff,* The Ins and Outs of Hadhrami Journalism in Malaya, 1900-1941: Assimilation or Identity Maintenance?
3. *Attaullah Bogdan Kopansk,* The Christian Maritime Terrorism as the Cause of Pauperization of Arabia Felix: Hadrami Annals and European Reports, 1510-1730 CE/9061164 AH
4. *Umar Faridz El-Hamdy,* The Role of the Hadramis in Socio-political Life of Indonesia.
5. *Rohani Mohamad,* Handolok: A Dying Tradition of the Arab Hdarmis in Batu Pahat, Johor, Malaysia
6. *Jaffar Mirghani Ahmed Fadlall,* Hadramis Across Three Shores: Malacca Straits, Arabian Sea and Red Sea
7. *Huub de Jonge,* In the Name of Fatimah: The Emancipation of the Hadramis in the Dutch East Indies.
8. *Sharifah Zaleha Syed Hassan,* History and the Indigenization of the Arabs in Kedah, Malaysia.
9. *Mohd. Mohiyuddin Mohd. Sulaiman,* Reverend Shadows of Holy Images: Arabs of Burma.
10. *Abdul Rahman Tang,* Arab Hadramis in Malaysia: A study of their Origins and Assimilation in Malay Society.
11. *Nico J.G. Kaptein,* Arabophobia and the War against Mysticism: How Sayyid Uthman Became Advisor to the Netherlands Colonial Administration.
12. *Nurfadzilah Yahaya,* Between Two Diasporas: The British and the Arab Elite in Singapore.
13. *Rahmah Ahmad Osman,* The al-Attas family in Johor Bahru: Its Contribution to Islamic Education and Culture.
14. *Syed Muhd Khairuddin Aljunid,* Hadramis within Malay Activism: The Role of the Alsagoff Family in Post-war Singapore, 1945-1965.
15. *Hafiz Zakariya,* Syed Ahmad al-Hadi Meets Shaykh Tahir Jalaudin: A Comparative Reflections
16. *Alwi Alatas,* Pan-Islamism and Islamic Resurgence in the Netherlands East Indies: The Role of Abdullah ibn Alwi al-Attas (1840-1928).
17. *William Gervase Clarence-Smith,* Entrepreneurial Strategies of Hadrami Arabs in Southeast Asia.

18. *Christian Lekon,* Economic Crisis and State-building in Hadramaut, 1941-1949: The Impact of the Decline of Southeast Asian Remittances.
19. *Rajeswari Brown,* Arab Capitalism, Islam and Decline in Southeast Asia.
20. *Saadaldeen Talib,* Hadrami's Networking: Salvage of the Homeland
21. *Kazuhiro Arai,* Arabs in Java during the Japanese Occupation, 1942-45: Images of the Arabs in the Eyes of the Japanese
22. *Johann Heiss,* Genealogy, Diaspora and Social Environment.
23. *David G. Hirsch,* The Hadrami-Arabic Press in Southeast Asia: A Historical Survey.
24. *Ahmed Ibrahim Abushouk,* Al-Manar and the Hadrami Elite in the Malay-Indonesian World: Challenge and Response
25. *Martin Slama,* Guidance into Modernities: Indonesia's al-Irsyad in Colonial Times and in the Present.

الأوراق العربية

26. محمد عبد الله بن ثعلب، حضارمة جنوب شرقي آسيا في إطار المهاجر الحضرمية في العالم.
27. محمد عبد الرحمن الجنيد جمل الليل، سلاطين وملوك وأشراف حضرموت ودورهم في نشر التسامح الإسلامي ومقاومة الاستعمار الأوروبي في جنوب شرق آسيا.
28. محمد سعيد القدال، الهجرة الحضرمية وتأثيرها على خصوصية حضرموت.
29. الصادق أحمد مكنون، علاقة الحضارمة في جنوب شرق آسيا بأرض الوطن.
30. الحبيب السيد علي الجفري، صيانة الهوية أم الانصهار ... والخيار الثالث.
31. أحمد الأصحبي، الهجرة اليمنية الحضرمية وتأثيراتها في جنوب وجنوب شرق آسيا.
32. *محمد سعيد داوود*، السمات العامة لهجرة العرب الحضارمة إلى جنوب شرق آسيا.
33. *عبد الغني يعقوب الفطاني*، علماء الحضارمة في جنوب شرق آسيا: الكسب والعطاء.